المحاضرة الأولى ــــ1ـــــ

المنهج الفيلولوجي:

المنهج الفيلولوجي أو علم اللغة المقارن، ويترجم أحيانا إلى " فقه اللغة": هو منهج ينطلق من فرضية مرور اللغات بمراحل تطور كبيرة وطويلة مما يجعلها موضوع بحث واختبار، وهو يرتكز على مقارنة اللغات لتحديد الصلة التاريخية بينها، مثل القرابة الوراثية الأصل المشترك للغة كما يهدف إلى بناء العائلاة اللغوية وإعادة مجتمع اللغات السابقة، وتحديد التغيرات التي أدت إلى ظهور اللغات بالشكل الذي تكون عليه في منطقة، قصد إعادة تأسيس اللغة الأم. وبذلك فهو يرتكز على المنهج التاريخي لتحديد الأنفصال بين اللغات من الناحية التاريخية، والعرقية، كما يعتمد على الفرضيات الإحصائية المتعلقة باللغة، كتشابه الطرق القائمة على الحروف المستخدمة صرفياً، ومعجمياً، واستخدم علم الوراثة العرقي الذي يدرس العلاقات التطورية المختلفة بين مجموعات الكائنات الإنسانية، كالتجمعات السكانية لتحقق من العلاقات بين اللغات وتحديد التواريخ التقريبية للغة الأم.

وخلاصة القول:

هو منهج يعني بدراس النصوص اللغوية، دراسة تاريخية مقارنة، لفحصها والاستعانة بها في دراسة الفروع الأخرى التي لها علاقة باللغة.

ولذلك فإن المنهج الفيلولوجي يحدد بناء وقيام الحضارات على بعضها البعض، فكلما جاءت حضارة دافعت الحضارة التي تليها بما يعرف بقانون التدافع، وهو منهج يقوم على مبدأ أصل الأشياء واصل الكلمات في فهم الواقع. وهذا المبدأ نجد له أصلا عند المدرسة الطبيعية اليونانية.

نشأة الفيلولوجيا: هذا المصطلح في بداية نشأته كان يعني:

(1). دراسة النصوص القديمة: من حيث القواعد النحوية، ومعاني المفردات، وما يتصل بذلك من شروح، ونقد، وإشارات تاريخية، وجغرافية...فهو يدل على

الاعتناء بالنصوص القديمة دراسةً ونقدا، وتحقيقا، وضبطاً...ابتداءً من النصوص اليونانية واللاتينية، ثم النصوص الشرقية (العبرية، العربية، الفارسية، السريانية..). وصولا إلى فك رموز الكتابات القديمة التي عثر عليها الباحثون في علم الآثار مرقومة على الحجارة، أو جدران المباني في صورة نصوص بلغات مجهولة كما هو الحال مع اللغة الهيروغليفية في مصر، واللغة البابلية والخط المسماري في بلاد ما بين النهرين. وهكذا ارتبطت الفيلولوجيا بالنصوص التراثية، فيسرت انتقالها من المخطوط إلى المطبوع ومن المجهول إلى المعلوم في مضمونها.

يتضح لنا مما سبق ذكره بأن مبتغى " الفيلولوجيا" انطلق من الاعتناء بالتراث القديم عامة، ودراسة النصوص والوثائق خاصة، وتحقيق النصوص التراثية على الأخص، وانتهى بما يسمى باللسانيات المعاصرة. واتي ظهرت مع بداية القرن العشرين، وتوسعت من اللغة المكتوبة إلى اللغة غير المكتوبة، واعتبرت النظرية البنيوية أن اللغة نظام مؤسس على بنية شديدة التنظيم، وصارت أهم نظريات اللسانيات مع نشر الكتاب الهام (منهج في اللسانيات العامة) لعالم اللسانيات السويسري " فريدناند دو سوسير، وسيكون لهذا التطور في منهج فقه اللغة ظهور في دراسة النص القرآني مع الحداثيين " أو **الإنسلاخسلاميين"** ـــ ويعني بهم الذين أنسلخوا عن دينهم ـــ كما يسميهم المؤرخ التونسي الدكتور محمد الطالبي في رده على عبد المجيد الشرفي.

نشأة الفيلولوجيا وتطورها: يرجع الباحثون نشأة الفيلولوجيا إلى القرن الثامن الميلادي في عهد شرلمان، الذي عمل على تشجيع الحركة العلمية التي تجلت في نشر التعليم، وتأسيس الجامعات، والحث على الترجمة من العربية إلى اللاتينية، ومن خلال ذلك ظهر التيار الإستشراقي المهتم بالتراث العربي...وفي القرن التاسع عشر عرفت " الفيلولوجيا تطورا كبيرا في (ألمانيا)، من خلال جهودفيلولوجيين منهم:

(ا). كارل لاخمان : الذي رفد الفيلولوجيا سنة1851م بمعارف ومناهج ذات بال مثل: علم "المخطوط" و" **تاريخ النصوص"** فقد لاحظ ه\ا العالم ومدرسته أن التراث المخطوط لم يصل إلينا في نسخته الأصلية، بل وصل إلينا عن طريق شواهد خضعت لألوان من التحريف، والتصحيف..فأخذ على عاتقه استرجاع النسخ الأصلية إذا أمكن أو الشواهد الضائعة مع الزمن والتي يمكن أن تهديه إلى شكل قريب من النص الأصلي. فهو أول من حاول أن يعيد بناء النصوص الضائعة، وذلك حسب موهبته الممتازة، ومعارفه البايلوغرافية، والنقدية، وكان يبتغي خدمة التراث الأوروبي اللاتيني، والإغريقي خاصة. حيث استفاد منه المستشرقون في تعاملهم مع

التراث الإسلامي كما سنرى. وهكذا أثمرت جهود " **لاخمان** " ومعاصريه في اكتمال منهج التحقيق العلمي ونضجه معتمداً: المنهج النقدي لكل النسخ، وذلك بمحاولة جمع أكبر عدد منها، والمقابلة فيما بينها، في محاولة للوصول إلى نص أقرب ما يكون إلى نص المؤلف. وقد يتم هذا بعد إخضاع هذه النسخ لعملية تاريخ النص الذي يعتبره أساسيا في هذه العملية.

في هذه الحقبة التاريخية نشطت حركة الاستشراق في المراكز العلمية بأوروبا مثل، ألمانيا، وهولندا، وإيطاليا، وروسيا، وفرنسا وإسبانيا، وإنجلترا..والتف الفيلولوجيون إلى المخطوطات الشرقية مثل: السريانية، والعبرية، والفارسية، والعربية، فعكفوا على فهرستها، ودراستها، وتحقيقها ونشرها، وقد نالت علوم القرآن النصيب الأوفر من الإهتمام. ومن أهم المستشرقين نذكر منهم:

(1). دو ساسي(1758م ـــ 1838م) من جنسية جنسية فرنسية لقبه عبد الرحمان بدوي بـ " شيخ المستشرقين الفرنسيين" وهو الذي كتب بيان الجيش الفرنسي بالعربية عند احتلال الجزائر.

(2). أوجست فليشر(1865م ــ 1949م) مستشرق ألماني ، أختص في اللغات الشرقية بصفة عامة، واللغة العربية بصفة خاصة.

(3). جوتهف برجشتراسر(1886م ـــ 1933م) مستشرق ألماني، برز في دراسة اللغات السامية، و نحو اللغة العبرية بصفة خاصة، وعني بدراسة اللهجات العربية، و بـقراءات القرآن الكريم، حاضر في جامعة القاهرة، وجمعت محاضراته في كتاب تحت عنوان " أصول نقد النصوص ونشر الكتب" وهو كتاب مهم جدا لمن أراد أن يشتغل بتحقيق المخطوطات. ومتوفر على شكل PdF .

(4). **غوستاف جرونبوم** (1909 م ـــــ1972 م) هو مستشرق نمساوي.من أهم كتبه كتاب «إسلام العصور الوسطى» صدر في عام 1946م.

(5). ثيودور نولدكه (1836م ـــ 1930م) يعد شيخ المستشرقين الألمان. ولد عام 1836 في هامبورغ، أتقن العربية، العبرية، والسريانية. درس في غوتنغن وفيينا وبرلين وليدن. حصل على الدكتوراه عام 1856م وهو في سن العشرين عن تاريخ القرآن.

(6). كارل بروكلمان (1868م ـــ 1956م)، في مدينة روستوك، وكان مستشرق ألماني. بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، كانت أشد أمانيه العيش فيما وراء البحار، وذلك بسبب انحدار حياة الأعمال في روستوك، وتطلع العديد من

التجار إلى العمل فيما وراء البحار. وهو لا يزال في الثانوي، بدأ يدرس السريانية، والآرامية الكتابية، وأتقن العبرية.

(7). **هامِلْتُون ألكسندر روسكن جب** (1868م ــ 1971م) مستشرق بريطاني. يعرف اختصارا بـ "H. A. R. Gibb". ولد في مدينة الإسكندرية. من كتبه « إلى أين يسير الإسلام » (لندن 1932 م)، و« اتجاهات حديثة في الإسلام » (شيكاجو 1947 م) و «المجتمع الإسلامي و الغرب» بالاشتراك مع هارولد بوون (نقله إلى العربية أحمد عبد الرحيم مصطفى) كما ترجم إلى الإنكليزية مُختارات من رحلة ابن بطوطة.

(8). جوزيف شاخت(1902م ــ 1962م) مستشرق ألماني، وباحث ألماني في الدراسات العربية والإسلامية. متخصص في الفقه الإسلامي. له مؤلفات عدة أبرزها "بداية الفقه المحمدي" والذي حلل فيه فقه الإمام الشافعي ورسالته الشهيرة بالإضافة إلى تحليل نشأة علم الحديث.

(9). ديڤيد صمويل مارگـُليوث (1858م ــ 1940م) مستشرقاً، ولفترة قصيرة عمل قساً في كنيسة إنجلترا. كان أستاذ لتدريس اللغة العربية في جامعة أكسفورد من 1889 إلى 1937م.

(10). رَينْهَارْت دُوزِي (ولد سنة 1820م بليدن ، وتوفي سنة 1883م بالأسكندرية) مستشرق هولندي وأستاذ العربية في جامعة لَيْدَن، ينتمي إلى أصول فرنسية من الهوغونوتيين، اشتهر بدراسة تاريخ شمال أفريقيا والأندلس. له مؤلفات عدة، أشهرها تكملة المعاجم العربية.

(11) إغناطيوس كراتشكوفسكي (1883م ــ 1951م)، مستشرق روسي، أحد مؤسسي مدرسة الاستشراق الروسي. لقد شغف منذ صغره بدراسة آراء المستشرقين ودراسة اللغة العربية.

(12). إغناطيوس كراتشكوفسكي(1646م ــ 1715م) مستشرق روسي، أحد مؤسسي مدرسة الاستشراق الروسي. ولد في 4 مارس 1883 في فيلنيوس وتوفي في 24 يناير 1951 في لينينغراد. لقد شغف منذ صغره بدراسة آراء المستشرقين ودراسة اللغة

وهؤلاء كلهم فيلولوجيين تميزوا بالضلوع في عدة لغات كلاسيكية، وسامية، إلى جان اللغة العربية..كما تلقوا تدريبا خاصا على التعامل نع النصوص العربية من جانب أساتذة التحقيق والنشرات العلمية للنصوص الكلاسكية[1].

وقد أنتجت هذه الحركة الإستشراقية عددا كبيرا من التحقيقات والنشرات النقدية للتراث الإسلامي في اللغتين العربية، والفارسية، والأردية، في شتى العلوم الدينية، والطبيعية،والرياضية، والفلكية، والطبية...

على أن هذا المصطلح **" الفيلولوجيا"** لم يقتنع الدارسون فيه بالنصوص القديمة والوثائق فقط، ولم يقفوا عند تصحيح النصوص وتدقيقها، فانتقلوا إلى مقارنة الظواهر التاريخية. وبداء الاعتناء بالنصوص والوثائق على أنها الشاهد الوحيد على الغائب من هذه الأمم، وعليه يجب قبل التسليم بما ورد فيها من شهادات التأكد أولا من صحة المعلومات الواردة فيها كالتأكد من صحة الوثيقة نفسها، ومن صحة نسبتها لصاحبها[2].

[1] رضوان السيد، مقال تحت عنوان، النشر التراثي العربي، مجلة التسامح، ع27، 2009م
[2] يوسف الكلام ، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، ص24 .